إضاءة على فعاليات برنامج البحث والتطوير التربوي

إعداد: لما رباح

نظم برنامج البحث والتطوير التربوي في مؤسسة عبد المحسن القطان، خلال الشهور الستة الماضية عدداً من الفعاليات والأنشطة، تناولت مجالات مختلفة في الحقل التربوي. وفيما يلي إضاءة على أبرز تلك الفعاليات.

انطلاق فعاليّات مهرجان أيّام العلوم في فلسطين

انطلقت في 17 تشرين الأول، للعام الرابع على التوالي، فعاليّات مهرجان «أيّام العلوم في فلسطين 2016»، الذي يستضيف مهرجان الأفلام العلميّة، ويتمحور في نسخته هذه حول «علوم المواد»، ليستكشف الزوار أهميّة المواد التقليديّة واستعمالاتها، إضافةً إلى المواد المستحدثة، والمعاد استكشافها.

واستمرّت فعاليّات المهرجان على مدار شهر كامل، ابتداءً من 10/17 وحتى 11/21، في مختلف المدن والبلدات والقرى الفلسطينية، بما فيها القدس، ورام الله، وغزة، وقلقيلية، وطولكرم، وجنين، والخليل، وبيت لحم، وأريحا، والناصرة، والعيزريّة، وبيرزيت، ونعلين، وخان يونس.

ولعلّ ما ميّز مشاركة مؤسّسة عبد المحسن القطّان في المهرجان هذا العام، هو أوّلاً استضافة ستّ رياضِ أطفال للفعاليّات، بتنظيم وبحثٍ وإعدادٍ من قبل مربيّات ملتحقات ببرنامج التكوّن المهنيّ لمرحلة الطفولة المبكّرة ضمن برنامج البحث والتطوير التربويّ في المؤسسة؛ وهدف إشراكهنّ في المهرجان إلى إتاحة فرصةٍ جديدة للمربّيات في عمليّة تكوّنهنّ المهنيّ في رياضهنّ، وتمكينهنّ في وسطهنّ الاجتماعيّ.

كما تميّزت المشاركة هذا العام بكونها اشتملت على معروضاتٍ علميّة صمّمها فريقٍ مختصّ في طور التدريب ضمن مشروع وليد وهيلين القطّان لتطوير البحث والتعليم في العلوم، ويأتي هذا التدريب، في فلسطين والولايات المتحدة الأميركيّة، كجزء من التحضيرات التي يقوم بها المشروع لإقامة أستوديو العلوم، في خطوة تهدف لتأسيس متحف علوم تفاعليّ.

كما نُظّم في 10/20، «بازار العلوم» للمرّة الأولى، وهو مبادرة غير ربحيّة نظّمتها «القطّان»، بالتعاون مع شركات ومصانع وحرفيين محلّيين، بهدف ربط العلوم بالمجتمع وموارده البشريّة، ووفّر مساحةً للأطفال الزوّار للعمل، بشكل مباشر، مع مهنيّين مختصّين بأدوات كالمطرقة والمثقاب –مع اتخاذ إجراءات السلامة– ومواد مثل الدهانات والمواد الطبيّة والأحجار الكريمة والمعادن والخشب.

وتم قبيل انطلاق المهرجان، في 10/8، عقد ورشة تحضيريّة في مجال الإعلام، قدّمها باحثون ومنسّقون في المؤسّسة لمعلّمين وطلبة من مناطق مختلفة؛ وذلك لتشكيل نواة فريق إعلاميّ يغطّي فعاليّات المهرجان على مدار شهرِ انعقاده.

يُذكر أنّ مهرجان أيام العلوم في فلسطين 2016 بتنظيم وتمويل كلّ من: مؤسّسة عبد المحسن القطّان، وبلدية رام الله، ومؤسسة النيزك للتعليم المساند والإبداع العلمي، ومعهد غوته، والمعهد الفرنسي، بالشراكة مع مؤسّسات محلية عدة.

..... فعاليات متنوعة لمشروع الثقافة والفنون والمشاركة المجتمعيّة .....

عملَ مشروع الثقافة والفنون والمشاركة المجتمعيّة، بدعم مشارك من مؤسّسة عبد المحسن القطّان والوكالة السويسريّة للتنمية والتعاون، خلال الأشهر الماضية في ثلاث مناطق، جامعاً ثلاثة أساليب للتعبير هي الفنّ والمسرح والكتابة، يعمل عليها طلبةٌ ونساء وفنّانون معاً.

أولى المناطق هي أريحا؛ حيث عُقدت ورشة تدريبية في المسرح، في 11/3، حضرها طلبة جامعيّون في طورِ تشكيلِ فرقةٍ مسرحيّة ضمن المشروع، استكمالاً لورش سابقة يقدّر مجموعها بعشرة أيّام تدريبيّة، وتناول فيها الطلبة مواقف استثنائيّة من أحيائهم وأُسرهم، ليعملوا على بناء مشاهد مسرحيّة منها، بإشراف المخرج المسرحيّ عيد عزيز، والباحثَيْن في «القطّان» مالك الريماوي وكريم حسين.

وبينما تعمل فئة الطلبة الجامعيين والمدرسيين في أريحا على تشكيل فريقٍ مسرحيّ؛ خاضت أمّهاتٌ من المدينة لقاءات عدّة ضمن المشروع، ناقشنَ فيها القضايا الاجتماعيّة التي يواجهنها في بيئتهنّ، كعمالة النساء في المستوطنات، وغلاء الأسعار، واندثار الزراعة ... ويعملن على كتابة قصصهنّ الشخصيّة، ليعكسنَ منظورهنّ الأعمق لما يحيط بهنّ ويساهمن في صنع عملٍ فنّيّ يعكس روح حياتهنّ، ويعرضها مسرح «أبنائهنّ».

وفي سياقٍ متّصل؛ يعمل المشروع في قلقيلية مع النساء والأطفال، إضافةً إلى فنّانين محليّين سيعمل كلّ منهم على مبادرةٍ فنيّة تهدف إلى أخذ المشروع إلى بعدٍ جديد. وأبرز ما ناقشه المشاركون والمشاركات هو طبيعة المجتمع في قلقيلية، حيث حدّدوا ثلاثة أطرافٍ يعتبرونها ذات تأثيرٍ كبير في محيطهم؛ وهي العشائر، والمجالس البلديّة والقرويّة، والمسجد؛ بناءً على نقاشاتهم وما أجروه من مقابلاتٍ ميدانيّة في الفترة الماضية.

أمّا في المنطقة الثالثة؛ بلدة نعلين، فنُظّمت ورشتَيْن في نعلين في 10/18، إحداهما تحت عنوان «نريد إيقاف العجلة»، وجاءت في سياق التحضير لمعرضٍ سيوظّف فيه الطلبة رسوماتٍ وصوراً وأغراضاً في بناءِ صورةٍ بصريّة لبلدتهم

نعلين، تلك التي اكتشفوا أنّها تعيشُ على إيقاع «الحاجز» كعجلةٍ تحكم حياتها، واصفين معرضهم بأنّه ما «سيوقف عجلة الحياة كي يرى الناس سلوكهم بتأنٍّ»؛ مضيفين: «نريد نعلين دون أمراضٍ وقمامة، ونريد أن نسير في شوارعها دون الوقوعِ في الحُفر، أو يرشقنا الماء»، كما عبّر الطلبة عن حاجتهم لأنْ تتخلّص نعلين ممّا سموه «الفضاء العبريّ»، ويريدونها تتكلّم بلغتهم.

وجاءت الورشة الثانية استكمالاً للمشروع نفسه؛ لكن مع مجموعة نساءٍ من نعلين، تحت عنوان «استأذنتُ من أمّي كي أكتب»، بإلهامٍ من اقتباس من إحدى النساء المشاركات، التي باحت لأوّل مرّة بأنّها ما زالت تذكر مرارتها حين احتفلتْ عائلتها بعيد ميلاد أخيها سنويّاً، ووثّقته بالصور الفوتوغرافيّة، ولم يُحتفل بعيد ميلادها هي.

وركّزت الورشةُ على الكتابة كشهادةٍ للذات من أجل ذاتها، ومن أجل الآخرين، وعملت المشاركات على تحليل القصص النسويّة وتطويرها كوثائق اجتماعيّة تصف الذات، لكنّها تُجمل فيها المجتمع والعائلة والبيت. وانتقلت النساءُ، خلال الورشة، من الكتابة بالقلم إلى الكتابةِ عبر الأغراض؛ أي تُرجمت نعلين كنصّ من الصور والملابس والأغراض لتُكتَبَ كنصّ بصريّ يعبّر عن أحلام من يسكنونها، وبالتالي ينتج الأطفال معرضاً فنيّاً، وستنتج النساء صحيفةً تجمع قصصهنّ وقصص النساء المشاركات في المشروع في المناطق الثلاث.

26 معلّماً ومعلّمة يشاركون في اللقاء الثاني من المشروع التدريبيّ في إنتاج الأفلام

تبدأ اللقطة السينمائيّة من اللحظة التي يُضغط فيها على «زرّ التسجيل»، وتستمرّ إلى أن نضغط «زرّ التوقّف»، ولا يبدو أنّ المعلّمين والمعلّمات ينوون التوقّف، لا من قريبٍ ولا من بعيد؛ فهم دوماً يتعلّمون وسائط جديدة تعينهم وتطوّرهم في تفاعلهم اليوميّ مع الطلبة.

انضمّ 26 معلّماً ومعلّمة للّقاء الثاني من المشروع التدريبيّ للمعلّمين والطلبة في إنتاج الأفلام، الذي ينظّمه برنامج الثقافة السينمائية ضمن مسار الفنون في التعليم/برنامج البحث والتطوير التربوي/مؤسسة عبد المحسن القطان، بالشراكة مع مبادرة مدرستي–فلسطين، التي تسعى، بدورها، إلى تعزيز قطاع التعليم في القدس –بشكلٍ خاصّ– ويشكّل معلّموها غالبيّة المشاركين في المشروع التدريبيّ.

وقدّم اللقاء الثاني، الذي عقد في 27 و10/28، المخرجُ الفلسطينيّ جورج خليفي، وتمحور حول كتابة السيناريو للأفلام، وكيفيّة تحويل المعلّم/ة تفاصيل حياتهم وظروف عيشهم اليوميّة إلى أفكار أفلام تحمل حكاياتٍ بسيطة.

وقال خليفي للتأكيد على أنّ البساطة لا تنتقص شيئاً من العمق: «أهمّ شيء إني أطلّعكم من فكرة إنكم رح تصلّحوا

العالم بفيلمكم»، مضيفاً بلهجته النصراويّة: «بتقدروش تحوّقوا (بمعنى تجمعوا) كلّ شيء في لحظة»، داعياً المشاركين إلى أن يبحثوا في التفاصيل، وفي إقامة صلةٍ إنسانيّة مع لمحاتٍ صغيرة من الحياة.

وعمل خليفي مع المعلّمين على مبادئ أساسيّة عدّة في السينما والكتابة لها، ومنها تطوّر الأفلام من كونها ذات لقطة واحدة إلى اكتشاف المونتاج، وإمكانيّة دمج العديد من اللقطات في مشاهد، لتشكّل علاقات ترابطٍ بين الصور.

كما كتب المشاركون -ضمن مجموعات- جملاً تسمّى «جمل الرصاصة»، وهي جملةٌ عادةً ما تُكتب على أفيش الأفلام لتلخّص قصّة الفيلم بنوعٍ من التشويق والمفارقة، وحاولوا استلهام أفكارٍ لنصوص سينمائية من أخبارٍ يوميّة نقرأها في الصحف وعلى الإنترنت.

تُعتبر مشاهدة الأفلام العربيّة والأجنبيّة عنصراً مهمّاً في البرنامج، ويشبّه خليفي من يريد خوضَ مجال السينما بينما لا يشاهد الأفلام بذاك الذي نطلب منه أن يصبح شاعراً وهو لم يقرأ قصيدةً في حياته؛ فمن الأفلام التي شاهدها المشاركون في اللقاء الثاني: Make a wish, Rope، مشهد درج أوديسا، البرتقال، وهي تتنوّع بين أفلامٍ فلسطينيّة وأجنبيّة، ومنها فيلمان صامتان تباين دور الموسيقى الدراميّ فيهما.

ولم يقتصر نقاش المشاركين وعملهم مع المخرج حول التقنيات في كتابة النصّ، كالتمهيد والحبكة و«قفلة» المشهد؛ بل خاضوا نقاشاً حول الموعظة مثلاً في الأفلام، ففي أحد الأفلام المعروضة خلال اللقاء؛ تلجأ طفلةٌ للتسوّل والسرقة من أجل تأمين مبلغٍ صغير لشراء كعكة عيد ميلادٍ لأبيها المتوفى، فرأى بعضُ المعلّمين أنّ هذا قد يشجّع الأطفال على هذيْن السلوكيْن، بينما رأى آخرون أنّ وظيفة السينما ليست تقديم عبرةٍ وموعظةٍ أخلاقيّة للمشاهدين، وليستْ مجبرةً على تقديم نماذج أخلاقيّة مثاليّة.

يُذكر أنّ هذا اللقاء هو ضمن سلسلة لقاءات مجموعها 114 ساعة تدريبية، انطلقت في 10/13، وركز اللقاء الأوّل، بإشراف وسيم الكردي، مدير برنامج البحث والتطوير التربوي، على ثقافة الصورة ما بين القراءة والتأويلات، وكان مقدّمةً لكتابة السيناريو مع المخرج خليفي.

وستستمرّ اللقاءات لغاية شهر نيسان من العام 2017، ضمن برنامج تدريبي في مجال إعداد الأفلام، بحيث ينخرط المعلمون في عمليّة إيجاد الفكرة وكتابة السيناريو والتصوير والمونتاج، بإشراف من باحثي برنامج البحث والتطوير التربوي/مؤسسة عبد المحسن القطان ومخرجين سينمائيين محليين، لينقل بذلك المعلمون التجربة للطلاب بالتزامن مع فترة التدريب.

..... عقد اللّقاء الثاني من مشروع «العمارة كفنّ لدراسة التاريخ» .....

نظّم مركز المعلّمين/نعلين، في 10/27، اللّقاء الثاني من مشروع «العمارة كفنّ لدراسة التاريخ»، الذي يحاول استحضار الماضي من خلال بناء الشكل الهندسيّ للعمارة القديمة، فعمل ثلاثون طالبةً وطالباً من مدرستيْ نعلين الثانويّة والمدية الأساسيّة المختلطة على بناء مجسّم «منطار» قديم من خلال استخدام الكرتون.

وكان اللّقاء الأوّل قد عُقد في 10/13، وناقش فيه الطلبة تقنيات البحث في تاريخ العمارة، وقاموا بجولة تعلّمية في قلعة الخواجا بنعلين، ورسموا واجهات القلعة وغرفها، وحوّلوها إلى نماذج مصغرة معتمدين مقاييس الرسم والتشكيلات الفنيّة.

القطّان تدشن مرحلةً جديدة في تطوّر مشروع «مكتبة البذور البلديّة»

قال المزارع خضر غطّاس، من بيت جالا، واقفاً بين الحضور، وبكلّ ثقة: «المزارعين بيعطوا بذور، ما بيشتروا»، واصفاً تجربته في الزراعة وإنتاج البذور البلديّة وجمعها منذ 35 سنة، وصورته مع «زرّيعته» تُعرض على الشاشة الكبيرة في القاعة، مبتسماً مع أطفاله وهم يحملون حبّات البندورة الكبيرة البلديّة، التي زرع أوّل بذرةٍ منها قبل ثلاثة عقود.

جاء ذلك في ندوةٍ عُقدت في مقرّ مؤسسة عبد المحسن القطّان، في 10/15، دشّن خلالها برنامج البحث والتطوير التربويّ/ مؤسّسة عبد المحسن القطّان مرحلةً جديدة في تطوّر مشروع «مكتبة البذور البلديّة»، وأعلن فيها رسميّاً عن انطلاقِ مساقٍ تعليميّ تحت عنوان «البذور؛ سياسات وثقافات».

وسيهدف المساق إلى دراسة العلاقة بين الممارسات الزراعيّة وعمليات إنتاج طعامنا الحالي، في ظلّ السياسات الدوليّة المختلفة؛ وإلى فهم مبدأ «السيادة الغذائية»، وذلك على مدار ثلاثة شهور ابتداءً من شهر تشرين الثاني 2016 وحتى شهر كانون الثاني 2017.

كما أعلن مدير عام مؤسسة عبد المحسن القطّان زياد خلف، عن مرحلة إنشاء مكتبات صغيرة للبذور في ستّ مدارس مختارة من مدارس المعلمين والمعلمات المنخرطين في المشروع؛ مضيفاً: «ستسمح هذه المبادرة للمعلّمين بأخذ زمام الأمور في مدارسهم، وإنشاء مكتبات خاصّة بهم تناسب التربة والمناخ في مناطقهم، وبمشاركة جميع طلابهم وطالباتهم».

وقدّمت فيفيان صنصور، منسّقة المشروع، عرضاً عن فكرة مكتبة البذور وعن سير عملها منذ افتتاحها رسميّاً مطلع حزيران الماضي، معبّرة عن المشروع بأنّه لا يحاول إعادة إحياء التربة فحسب؛ بل يحيي نسيج المجتمع كذلك، فهناك أصناف من البذور البلديّة آيلة للانقراض، ما يعني أنّ كلّ حكاياتها ستتلاشى، وكلّ الأكلات الشعبيّة التي ابتكرها الناسُ في موسمها، وعاداتهم، وأمثالهم حولها ... كلّها ستنتهي. وهذا ما تحاول مكتبة البذور تفاديه، فيعمل المشروع مع المعلّمين، ليشركوا بدورهم طلبتهم والدوائر المحيطة بهم في جمع القصص عن البذور والتعلّم عنها.

ونقلت صنصور عن إحدى الطالبات المشاركات أنّها قالت: «أنا اكتشفت إني أوّل مرّة بقعد مع ستّي».

من جانبه؛ قدّم المعلّم أسامة الجعبة، بالنيابة عن المعلّمين المشاركين، كلمةً يصفُ فيها نتاجَ ما تعلّموه خلال السنة الماضية، وما يطمحون له، وأكّد أنّ المرجع الأكبر والأغنى والأصدق حول الزراعة؛ هو المزارعون/ات أنفسهم/ن، بحيث كانوا الحجر الأساس في المشروع منذ بدايته؛ إمّا من خلال الجولات الميدانيّة الجماعيّة، أو الفرديّة التي خاضها المعلّمون.

ولم يكتفِ طلبة المعلّم وائل الفقيات بأن يجمعوا البذور البلديّة ويصنّفوها، بل جمعوا أيضاً أبياتاً مغنّاة عن المحاصيل من المزارعين ومن أجدادهم وجدّاتهم؛ مثل: هالعدس الأصفراني، طعمه أغواني ورماني»، أو أبياتاً أخرى عن أنواع الشعير: «الشعير السرقدي، قيّمني من مرقدي»، و«الشعير القناري، قيّمني من منامي».

اختتام سلسلة لقاءات مع مربيات الطفولة المبكرة لبناء مخطّطات تعليم تكامليّة

اختتم برنامج البحث والتطوير التربوي في 9/25، سلسلة لقاءات مع 6 مجموعات من مربيات الطفولة المبكرة، في إطار برنامج التكون المهني، بحيث تضم كلّ مجموعة ست أو سبع مربيات ترافقهنّ مربيّات مركّزات سبق وتلقين تدريبهنّ في البرنامج.

وتأتي سلسلة اللقاءات هذه استكمالاً لتدريبات جماعيّة وورش عملٍ حول الدراما في التعليم والعلوم، خاضتها المربيّات خلال الأشهر الماضية، ابتداء من مشاركتهنّ في المساق الشتويّ، الذي يعقده البرنامج سنويّاً لمدّة ثلاثة أيّام مكثّفة، وليس انتهاءً بالورش العديدة مع كلّ من الفنان الاسكتلندي روس جورجسن، والباحثيْن مالك الريماوي وفيفيان طنّوس، ومدير برنامج البحث وسيم الكردي، ومدير مشروع وليد وهيلين القطّان لتطوير البحث والتعليم في العلوم نادر وهبة.

وتهدف اللقاءات الأخيرة -ضمن المجموعاتٍ الصغيرة- إلى بناء جماعيّ لمخطّطات تعليم تكامليّة سيتمّ تطبيقها في المرحلة القادمة في رياض الأطفال من قبل المربيّات أنفسهنّ، على أن تتخلّل عملية التطبيق متابعة دوريّة، تتبعها لقاءات مع الباحثين في البرنامج للتأمّل في التجربة؛ لتنتج كلّ مربيّة في النهاية مخطّطاً خاصّاً بها تطبّقه مع الأطفال في روضتها، وتشاركها في تطبيقه زميلة من روضة أخرى لتتبادلا الخبرات والمعارف.

وتضمّنت اللقاءات نقاشاتٍ حول مضمون الخطط وكيفيّة استثمار مساهمات الأطفالِ عند التطبيق، وعُرضت خلالها نماذج من مخطّطات ناجحة من مربيّات سابقات في برنامج التكوّن المهنيّ.

وقالت المركّزة وخرّيجة المدرسة الصيفيّة: الدراما في سياقِ تعلّميّ، عائشة سلامة، إنّها رغم تدريسها للمرحلة الثانويّة؛ لطالما كانت مهتمّة بالطفولة المبكّرة، مضيفةً: «عملية التخطيط الجماعيّ تغني الأفكار، اطّلعت على معارف المربيّات ومهاراتهنّ وتجاربهنّ، ما فتح لي آفاقاً جديدة، وطرق مناطق دفينة في الفكر، حتى بدأت تلمع كأفكارٍ قابلةٍ للتطبيق».

وتوافقها المربيّة المشاركة منتهى الحاج؛ مضيفةً أنّ التخطيط الجماعيّ يختصر الكثير من الوقت لخلقِ مخطط فعّال، ولسدّ الثغرات فيه اعتماداً على تبادل التجارب مع المربيّات الأخريات.

وتؤكّد المربيّة شيرين حمد، على أنّ التحاقها ببرنامج التكوّن المهنيّ لمربيّات الطفولة المبكّرة قد أضاف الكثير إلى خبرتها التي تصل إلى 14 عاماً في هذا المجال، فتحرص على تدوين كلّ ما تتعلّمه وتخصّص وقتاً يوميّاً لقراءة الكتب التي يوزّعها البرنامج على المربيّات في مجال التربية والدراما، وأنّها تلمس تغيّراً في طريقة تفكيرها: «كلما أقرأ معلومة، بتعطيني فكرة جديدة، وحتى في الورش صرت ألاقي حالي بفكّر أبعد، حاسّة بفرق كبير».

مركز نعلين يعمل مع الأطفال في سياقٍ تعلّميّ فنيّ

نظّم مركز المعلّمين/نعلين، في 10/18، ورشةً للأطفال حول قصّة «نصائح غير مهمّة للقارئ الصغير»، بحضور مؤلّفها أنس أبو رحمة، ورسّامتها لبنى طه، قدّماها لأكثر من 100 طفلةٍ وطفل؛ وذلك ضمن مسار عملِ المركز مع الأطفال في سياقٍ تعلّميّ فنّيّ.

وتضمّنت الورشةُ قراءةً لمقاطع من القصّة، ثمّ أعاد الأطفالُ إنتاج غلاف الكتاب ورسموه على شكلِ جداريّة فنيّة إبداعيّة.

وسبقتها ورشة عملٍ مع الحكّاءة التونسيّة امتنان الكراي، في 11/6، بمشاركة أربعين أمّاً وطفلاً.

وروت كراي حكاياتٍ من التراثيْن التونسيّ والعالميّ، وبينها قصّة «الديك الذي ذهب إلى عرس عمّه» الأميركيّة اللاتينيّة، التي صنع الأطفال وأمّهاتهم، عقب سماعها، ديكاً ورقيّاً اختاروا ألوانه وصمّموه سويّاً.

يُذكر أنّ قصّة «الديك الذي ذهب إلى عرس عمّه» هي إحدى القصص الستّ التي نشرها برنامج البحث حديثاً -بعد ترجمتها- بالشراكة مع دار الأهليّة للنشر والتوزيع؛ التي تتنوّع مواضيعُها المطروحة ما بين الحريّة والنضوج وافتراض الكبار لما هو في «مصلحة» الصغار في قصّتيْ «طفلة الغابة» و«الفراشة» مثلاً، وتقدّم نهاياتٍ غير اعتياديّة وغير «مثاليّة»؛ كما حدث في القصة الشعبيّة الاسكتلنديّة «الجلد المسروق» وقصّة «الطفل والضفدع»، هذا إضافة إلى القصّة الشعبيّة الأنغوليّة «كيف صعد الضفدع إلى السماء» التي تحمل سحر القصص الشعبيّة وتشويقها.

برنامج تبادل المعلمين: جغرافيا متباعدة وخبرات وأفكار متقاربة

ستّة آلاف كيلومتر هي المسافة التي تفصل بين مدينتيْ المعلّمتيْن ريبيكا هارديستي ومنال ربيع؛ ولكنّهما استطاعتا الاجتماع في غرفةِ صفّ واحدة في قرية بيت إجزا غرب القدس مطلع نيسان؛ وذلك يعود لبرنامج التبادل الذي تنظّمه مؤسّسة عبد المحسن القطّان بين مدرسة وودرو (Woodrow) البريطانيّة ورياض أطفال فلسطينيّة.

صدفة أم دراية؟

سبق وأنْ زارتْ ربيع مدرسة وودرو العام 2013؛ لتجد هناك أنّها والمعلّمة البريطانيّة هارديستي التي قضتْ فترة التبادل في صفّها، تعملان كلتاهما على بناء فريقِ إنقاذ من الأطفال؛ وذلك من خلال تطبيق نهج «عباءة الخبير».

قالت ربيع إنّها تفاجأت حينها بأنّهما اختارتا الفكرة نفسها رغم تباعدهما جغرافياً، وإنّها لاحظتْ تشابهاً كبيراً في التطبيق، وبينما أكّدت هارديستي على كونها صدفة؛ إلّا أنّها أرجعت تشارك الفكرة إلى فهم كلتيهما الجيّد لنهج «عباءة الخبير» التربويّ؛ الذي يتولّى فيه الأطفال مسؤوليّة إدارة مشروع مُفترَض يشمل مناحي عدّة من مجالات المنهاج؛ ففريق الإنقاذ هو فكرة واسعة وسيطرَح العملُ ضمنه مواضيع شاملة.

فريق المهندسين: الورشة

بعد مرور ثلاثة أعوام، بدايةَ نيسان 2016، وفي غرفة صفّ صغيرة؛ اصطفّ ثلاثةُ أطفالٍ قرب الجدارِ يحاكون بأيديهم عمليّة دقّ المسامير، وعلى الجدار المقابل فريقٌ آخر من

المنهمكين في الدّهان المُتخيَّل؛ يحرّكون أذرعَهم من الأعلى إلى الأسفل، وما إن تقف لتراقب فريق البناء الفعّال حتّى يطلبَ منك طفلٌ أن تبتعد؛ فأنتَ تسدّ طريق عربته وهو يحتاج لنقل الطوب إلى الجهة المقابلة.

ذلك كان المشهد في صفّ «التمهيدي» بروضة سنابل الإيمان في بيت إجزا في خضمّ تطبيق نهج عباءة الخبير؛ حيث اختارت ربيع موضوع البناء لأنّه يشمل الكثير من المهن، وقالت إنّها دمجت منهاج اللّغة العربيّة، والرياضيات، واللّغة الإنجليزية في مشروعٍ واحد، ولم تعد مضطرة إلى الرّجوع إلى الكتبِ مرّة أخرى.

بدأتْ ربيع في تطبيق نهج عباءة الخبير في موضوع البناء قبل أسبوعيْن من وصول المعلّمة هارديستي مع مديرها ريتشارد كيران من مدرسة وودرو البريطانيّة؛ حيث يُطبّق ذلك النهج في تدريس الموادّ كافة منذ ستّة أعوام؛ فاجتمعت الخبرةُ العمليّة الطويلة من «وودرو»، مع معرفة المربيّة ربيع الجيّدة بالأطفال وخبرتها المكتسبة خلال ثلاث سنوات منذ التحاقها ببرنامج التكوّن المهني في مؤسّسة عبد المحسن القطّان.

تفاعل الأطفال

لعلّ المشهد الذي وُصفَ سابقاً يبيّن انغماسَ الأطفال في بناء منزلٍ متخيّل، لكنّ ما الذي أوصلهم إلى هناك؟ وكيف تمّ تطبيقُ نهج عباءة الخبير؟

كان من الواضح أنّ الأطفال يألفون أدوات البناء ويعرفون معظمها، وذلك لأنّهم بدأوا بالتعرّف على صورها مع مربيّتهم، إضافة إلى أنّ ذوي بعضهم يعملون في النجارة أو البناء، وسبق أن رأوا ورش بناء حقيقيّة، فلم يكن الموضوع بعيداً عن بيئتهم، وما علموه جيّداً، أيضاً، هو أنّ عليهم بناء منزلٍ «للعمّ»، الذي لعب دورَه المعلّم ريتشارد كيران، وطلب منهم المساعدة ناظراً في عيونهم وقائلاً عباراتٍ مثل: «أنا أعتمد عليكم لإتمام المهمّة، شكراً، أنتم تأخذون وظيفتكم على محمل الجدّ، أنا أحتاج مساعدتكم وأعلم أنّكم الأفضل لإتمام العمل».

وبالفعل انخرط الأطفال في البناء وأخذوا مسؤوليّة المنزل على عاتقهم وطرحوا الأسئلة على «العمّ» كما سيفعل أيّ خبير: «كم لدينا من الوقت لإتمام المهمّة؟ وكم غرفة تريد؟ وهل تتوقّع وجود درجٍ في المنزل؟».

وبدأوا يفكّرون مع مربيّتهم ربيع وزائريْهم ريبيكا وريتشارد في ما يحتاجونه للبناء، ولم يخلُ الأمرُ من طرافة الأطفال بالطّبع؛ كاستنتاج طفلٍ أنّه وبما أنّ من يشكّل الحديد هو الحدّاد، فحتماً من يصنع البلاط هو «البلّوط» ... أو كامتعاض آخر حين قال له صديقه مازحاً إنّه سيلقي عليه بعض الإسمنت لأنّه نسي الخلّاط المُتخيّل دائراً.

وللدّلالة على نوع وعمق تفاعل الأطفال مع التجربة؛ قبل عمليّة «اللِّحام»، وقفتْ ريبيكا تُلبسُ كلّ طفلٍ زوج قفازات مُتخيّلة في يديه، ليمرّوا بعدها على ريتشارد ليضع خوذةً على رؤوسهم من أجل احتياطات السلامة، وفي وسط انشغال الجميع باللّحام يقف طفلٌ معترضاً لم يبدأ العمل بعد: «بس أنا ما لبست كفوف!».

دار نقاشٌ هامّ بين الأطفال والمعلّمين حين سئل «المهندسون»: «إذا احتجنا أدوات وموادّ للبناء، من أين سنحضرها؟»، فأجابَ بضعة أطفالٍ: «سنشتريها»، إلى أن قالتْ طفلةٌ بحماس: «نحن سنصنعها»، وأعجبَ الأطفالُ بالاقتراح؛ لننتقل بذلك إلى عمليّة رسم الأدوات وإلصاقها على لوحةٍ بعنوان «صندوق الأدوات».

بعد أنْ تعرّف الأطفالُ على شكل الأدوات وأعادوا تخيّلها، وألفوا المهن المتعلّقة بالبناء، مكتسبين معرفةً ومفرداتٍ جديدة؛ حان الوقتُ لاستخدام الكتابة، فحسب طلب «العمّ» باشرت كلّ مجموعة من الأطفال بكتابةِ لائحة بالخطوات التي سيتبعونها، فبدأوا بتهجئة الكلمات وكتابتها: «خاء في أول الكلمة، شين، باء في آخر الكلمة ... **خشب**».

ووسط الحروف؛ كان للأرقام مكانٌ أيضاً، فكانتْ ريبيكا تسألُ الأطفال مثلاً: «كم طوبة تحتاج؟»، فيقدّرون رقماً، ثم تأخذ منهم طوبة أو اثنتين وتسألهم مجدّداً كم طوبةً لديهم؛ وبذلك تمّ توظيف الحساب أيضاً.

إذاً، شملَ تطبيق نهج عباءة الخبير التهجئة والحساب والقصّ والرّسم والمحادثة والقدرة على التعبير، إضافة إلى تنمية الخيال وروح الفريق. ومن المهمّ أيضاً أنّه عزّز ثقة الأطفال بأنفسهم وحسّهم بالمسؤوليّة، ومنحهم ميزة الابتكار؛ وبخاصّة حين صنعوا كلّ شيء بأيديهم، وحلّوا كلّ المشاكل التي كانت تواجههم سوية حين كانت تُخلق التوتّرات عمداً كجزءٍ من أعراف استخدام الدراما في التعليم.

ولم يظنّ الأطفالُ للحظةٍ أنّهم لن يستطيعوا إتمام الأمر، أو أنّ الإناث مثلاً؛ غير قادرات على جرّ عربة يتكدّس الطوب فيها، كما قد يظنّ الكبار أحياناً حين يحصرون المرأة في وظائف محدّدة، واستطاعَ الأطفال خلقَ عالمٍ جديدٍ بخيالهم.

عائلة «القطّان»

لم يكن الأطفال وحدهم من تعلّموا خلال هذه التجربة؛ فقالت المعلّمة هارديستي إنّ ورش العمل النظريّة حول «الدراما في التعليم» مفيدة جداً، ولكنّها ليست ذات قيمة إلا إذا ترافقت مع تجربةٍ عمليّة بين الأطفال، وذلك للتطوير على الأسلوب وتعديله؛ للوصول إلى رؤية شاملة، وأضافتْ أنّ نهج «عباءة الخبير»، بشكلٍ عام، أتاح لطلبتها خلال السنوات الستّ السابقة أن ينمّوا مهاراتهم في الكتابة، معزّزاً قدرتهم على السّرد.

واعتبرت هارديستي أنّ هذا التبادل والعلاقة الطويلة بين مؤسّسة عبد المحسن القطان ومدرسةِ «وودرو» يشعرانها بأنّها جزء من «عائلة القطّان» في فلسطين، وأنّها فعلاً تساهم في صنع فرقٍ في التعليم.

من جانبها؛ قالت ربيع إنّها لم تشعر بأنّ «أولادها» -كما تسمّيهم- يستمتعون ويتعلّمون بعمق إلّا حين التحقت ببرامج مؤسّسة عبد المحسن القطّان، وبدأت باستخدام الدراما في التعليم، وأضافتْ: «أول سنة استخدمت فيها الدراما كانت رائعة! تغيّرت كليّاً، كنت دائماً أستخدم اللّوح وأتّبع طريقة التلقين، والآن أستخدم الدراما في كلّ الدروس»، وما دفع ربيع للاستمرار في هذا النهج هو أنّ الأطفال يتذكّرون ما يتعلّمونه عبر الدراما ويرسخ في عقولهم، في حين ينسون أغلب ما يتم تلقينهم به.

اختلاف وتوافق

لا بدّ أنّ تجربتيْ المعلّمتيْن مختلفتان بين بريطانيا وفلسطين؛ فممّا لاحظته ربيع حين زارتْ المدرسة البريطانيّة العام 2013 هو أنّ أجهزة (IPad) متوفّرة للطلبة في غرفة الصفّ، بينما نادراً ما يتوفّر ذلك في المدارس والرياض الفلسطينيّة؛ وفي حين تعتبرُ هارديستي هذا الأمرَ محفّزاً إضافياً لإبداع المعلّم، ويتيح له أنْ يستخدم الفيديو والصور لينمّي خيال الطلبة؛ فإنّها تؤكّد أنّ عدم توافر التقنيّة لا ينتقص شيئاً من نهج «عباءة الخبير»؛ وتوافقها ربيع بالرأي، بل تعتقد أنّه وبغضّ النظر عن الأدوات المتوفّرة؛ فإنّ الأطفال يشعرون بمتعةٍ إضافيّة حين يرسمون كلّ شيء بأيديهم وكأنّه ملكهم.

قد يكون البعدُ الجغرافيّ كبيراً بين غرفتيْ الصفّ التي تعتاد كلٌّ من هارديستي وربيع التواجد فيهما، وربّما تختلفُ الأدوات المتوفّرة واللّغة المستخدمة، وتتباين خلفيّات الأطفال المعرفيّة والاجتماعيّة، لكن وكما تؤكّد المعلّمة هارديستي؛ فإنّ الأطفال- أينما تواجدوا- متشابهون في توقهم ولهفتهم للتفاعل؛ فقط حين تمنحهم التحدّيات المناسبة.

..... قصة «عازف المزمار» تقود ورشة في الدراما في التعليم ..... لمربيات الطفولة المبكّرة

بما أنّ «الدراما» لا تُلزمنا بخطّ الزمن الاعتياديّ كما تفعل القصص؛ إنّما تستطيع أن تنقلنا إلى العام 2030، وثمّ تعيدنا إلى القرن السادس عشر في اليوم ذاته، ليصبح المستقبل والماضي حاضريْن هنا والآن، لذا لا ضيرَ من أن نبتدئ التقرير من النهاية؛ حيث اختُتمت ورشة عملٍ في الدراما عقدها برنامج البحث والتطوير التربويّ على مدار يوميْ السبت والأحد 4-5/ حزيران، في جمعية الهلال الأحمر في البيرة، باقتباسٍ من كتاب «النبي» لجبران خليل جبران يقول: « أولادكم ليسوا أولاداً لكم، إنّهم أبناء الحياة المشتاقة إلى ذاتها ... وفي وسْعِكُم السَّعي لتكونوا مِثلهم، ولكن لا تُحاولوا أن تَجْعَلوهُم مِثْلكم ... أنتم الأقواس؛ منها ينطلق أبناؤكم سِهاماً حَيَّة».

غادرتْ حوالي أربعين مربيّة لمرحلة الطفولة المبكّرة الورشة يحملن ملاحظاتهنّ والعديد من الأفكار والتساؤلات بعد ما قدّمه مدير البرنامج وسيم الكردي خلال يومين حول توظيف الدراما في التعليم، معتمداً قصّة «عازف المزمار» نموذجاً

ومدخلاً لتطبيق الدراما؛ حيث تدور قصة «عازف المزمار» في مدينة هاملن الألمانيّة، التي غزتها الجرذان مُلحقةً الضرر بالمحاصيل ومسبّبة الأمراض في المدينة؛ ليتمّ الاتّفاق لاحقاً مع عازفٍ يزعم أنّ ألحانه تستطيع إبعاد الجرذان عن هاملن إلى الأبد، على أن يتقاضى 1000 قطعة ذهبيّة في المقابل، فيوافق أهل القرية و«العمدة» على شرطه ... وسرعان ما يبدأ اللّحن تخرج الجرذان من جحورها أسراباً تلحق بالعازف الذي قادها إلى النهر ليغرقها جميعها.

حين يعود عازف المزمار مُطالباً بمكافأته؛ لا تفي «هاملن» بوعدها، فيعزف لأهل المدينة لحناً أخيراً حتى يلحق به نصف أطفال المدينة هذه المرّة، ويختفوا خلفَ جبلٍ كبيرٍ إلى الأبد؛ إلّا أنّ طفلاً واحداً منهم قد عاد ليروي الحكاية، فقد أصيبت قدمه ولم يستطع إكمال الطريق، وقال إنّ الأطفال في الجبل لديهم نعيمٌ من المروج والحدائق السحريّة.

التطبيق الأوليّ

جلست المربيّات في دائرةٍ ينتظرنَ أن تبدأ الورشة الرابعة لهنّ في الدراما، ولم يعلمنَ أنّها بدأتْ لحظة جلوسهنّ، فطلب الكردي منهنّ تضييق الدائرة، وحين حرّكنَ مقاعدهنّ؛ أصدرت المقاعدُ صوتاً مزعجاً، عاد الهدوء سريعاً ولكنّهنّ سرعان ما سُئلن: «**ماذا لو** أحدثَ طلبتُك كلّ هذه الضجّة؟»؛ حينها علمتْ المربيّات أنّ التجربة قد بدأت، فالاستثمار في موقفٍ صغيرٍ كتحريك المقاعد لنقاشِ موضوعٍ كبير مثل التعامل مع طاقةِ الأطفال في غرفة الصفّ، يُنبئنا بأنّ الدراما قد حضرت.

عُرضت لوحة زيتيّة اسمها «ألعاب الأطفال» للفنّان الفلمنكي بيتر بروغل الأكبر، رسمها في القرن السادس عشر، وفيها أطفالٌ عديدون يلعبون ألعاباً جماعيّة، وانطلاقاً منها طُلب من المربيّات أن يتخيّلن نوع المجتمع الذي تتحدّث عنه اللّوحة، واتفّقن على أنّه مجتمعٌ ريفيّ بسيط منسجم مترابط، وحتماً ليس من الزمن المعاصر.

ثم روى الكردي قصّة «عازف المزمار» على مسامعهنّ باختصار، وبدورهنّ قُمنَ بربطها بالبيئة التي تخيّلنها مسبقاً حين نظرنَ إلى اللّوحة؛ ثمّ جاءتْ مرحلة تحليل القصّة لاكتشاف مجالات التعلّم الكامنة فيها، أي ماذا يمكننا أن نعلّم أطفالنا من الدراما المبنيّة على «عازف المزمار»؟

سين جيم

كتب نايجل توي وفرانسيس برنديفيل في كتابهما المشترك «الدراما والقصّة الشعبيّة لسنوات الطفولة المبكّرة»؛ الذي ترجمه برنامج البحث في «القطّان»: «نحن نهدف ببساطة إلى الحصول على تفاعل مع أفكار القصّة أكثر من مناقشتها بصياغة أسئلة مجرّبة جداً من قبل المعلّمة، وأجوبة من قبل الأطفال».

فقد أكّد الكردي خلال النقاش «أنّنا لا نعمد إلى تعليم القيم بشكلها التقليديّ، كأنْ نسأل الطلبة: «هل تؤيّدون الصدق في الوعود؟»، بالطبع سيجيب الأطفال بنعم تلقائيّاً، ولكن دون أن يفكّروا مليّاً بالأمر؛ بينما تعرض القصص مسائل أخلاقيّة وتتيح للأطفال فرصة الحديث مع الشخصيّات التي تواجهها مباشرةً، كالعازف الذي انتقم من المدينة مثلاً، أو «العمدة» الذي لم يفِ بوعوده.

كلّ سؤالٍ تمّ طرحه كان يفتحُ سؤالاً آخر، ومن الأسئلة التي انسابتْ: «بعد اقتيادِ العازف الجرذان إلى النهر؛ كيف أصبحت مياه النهر؟»، و«صحيحٌ أنّ نصفَ الأطفال قد ذهبوا إلى الجبل واختفوا، لكن ماذا عن الأطفال الباقين؟»، و«كيف هي حياة الأطفال في الجبل؟ هل هم سعداء؟».

كما يأتي سؤال آخر عن سبب أخذ الأطفال إلى الجبل عوضاً عن إغراقهم في النهر كما حصل مع الجرذان: «لماذا لا يريد العازف قتلهم؟»؛ ليساعدنا التساؤل في قراءة شخصيّة العازف؛ إذاً نريد مقابلته!

كأيّ لقاء مع أيّ شخص؛ نحتاجُ مكاناً وزماناً ومناسبة (حدثاً)، وهذا ما يُسمّى **بالسياق**، من الممكن أن نشاهده وهو يتناول العشاء مع ابنه وزوجته بعد أن أخذ الأطفال إلى الجبل ... أم أنّه لا يُنجب الأطفال، وهذا ما خلق لديه حنيناً إليهم فلم يؤذِ أطفال المدينة؟

ليس هناك إجابة واحدة، وكلّ شيء ممكن؛ فهذه إحدى الفجوات في القصّة التي نستطيع استثمارها كما أردنا، بشرطِ أن تقودنا إلى قيمة تعلّميّة حقيقيّة لاحقاً.

من السياقات الأخرى التي تمّ طرحها هو اجتماعٌ بين «الزمّار» و«العمدة» وأهل القرية قبل أن يُبرم اتّفاق إبعاد الجرذان؛ فأخذ الكردي دور «الزمّار» -بلغةِ جسده وإشاراته- وجلس أمام المربيّات اللاتي في دور أهل القرية؛ أمّا العمدة فكان مُتخيّلاً تماماً وممثّلاً بكرسيّ تعلوه كومة ورق.

الزمّار واثقاً من نفسه وبصوتٍ منخفض: «كنتُ أعرف أنّ هذا اليوم سيأتي، وسأقوم بمهمّتي على أكمل وجه». ثم بدأ أهل القرية (المربيّات) بمفاوضته على قدر المبلغ، أو إنْ كان بإمكانه تقسيطه، أو تقاضي قطعة أرضٍ بدلاً من المال؛ لكنّ «الزمّار» ثابتٌ على مطلبه الأول: «1000 قطعة ذهبيّة دفعةً واحدة».

السؤال الحقيقيّ الآن هو كيف سيحصّل أهل القرية المبلغ؟ وبخاصة أنّ الجرذان تقضم الزرع في هذه الأثناء ولا وقت للمماطلة.

إيقاف الدراما

انضمّ مالك ريماوي، الباحث الرئيسيّ في «القطّان، إلى تحليل الحوار الذي دار للتوّ؛ قائلاً باستنكار إنّ أهل القرية كانوا يتسوّلون المساعدة، فهل نريد تعليم أطفالنا أن يفترضوا أنّ الجميع سيتعاطف معهم، بينما نرى نحن واقعياً أنّ الحياة جديّة وقاسية؟

لم ينته الاستكشاف بعد؛ فطُلبَ من كلّ أربع مربيّات أن يشكّلنَ «صورةً ساكنة»، وهي كما وصفها الكردي: «**الزادة والزوّادة**» في التعامل مع الأطفال، ففيها تتخيّل المربيّات سياقاً معيّناً يتضمّن توتّراً ومفارقةً من نوعٍ ما، ويقفن ساكنات كتمثال ثلاثيّ الأبعاد؛ وكأنّما توقّف الزمن عند لحظة معيّنة انتقيْنها بأنفسهنّ، ليركّزنَ فيها وحدها؛ وذلك مستمدّ من المسرح، حيثُ تُخرجُ المربيّة الصورة الساكنة وتخلق شكلها، ثمّ تلعب دوراً فيها -كطفلٍ مرض جرّاء مياه النهر الملوّثة بالجرذان، أو أمّه القلقة التي تمسك بيده- وثمّ علاوةً على كونها مخرجةً وممثّلة؛ تكتب نصّاً قصيراً لتقوله حين يقتربُ أحدٌ من صورتها الساكنة ليعرف الحكاية.

كما حضّرت المربيّة هبة القاق دوراً اختارته؛ وهو مدير المدرسة في هاملن، الواقف أمام الأطفال الذين تبقّوا في المدينة، الذي جعلته القاق يناقش الطلبة (المربّيات) حول ما بإمكانهم فعلُه لحلّ مشكلة أصدقائهم المختفين في الجبل؛ فتقترح إحدى المربّيات: «سنحتجّ للعمدة».

نستدعي العمدة إلى المشهد الذي يليه إذاً، ويلعب دوره هذه المرّة الريماوي: «صحيت على أمل إنّه الي صار كابوس».

فتحاول المربيّات -في دور الأطفال- أن تحمّل العمدة المسؤوليّة الكاملة عمّا حدث؛ كونه لم يفِ بوعده للزمّار، ولكنّه يذكّرهنّ بأنّهنّ كنّا موجوداتٍ حين أُبرم الاتفاق؛ فهي مسؤوليّة جماعيّة ... وبعد نقاشٍ طويلٍ حول الانتقام من الزمّار، أو المحاولات غير المجدية لجمع المال؛ يقترح الريماوي -بدور العمدة- أنّ الأطفال انتهوا؛ وكما استخدم الزمار سحره، على المدينة وأطفالها أن يردّوا بسحرهم.

وفي ذلك المشهد؛ تُبذر بذور مهمّة تستطيع المربيّات تكليف الأطفال بها، السحر هنا يعني تخليد ذكراهم؛ ربّما بالموسيقى كالزّمّار، أو بكتابة رسائل لهم، أو بالتخطيط لمعرضٍ يحمل صورهم؛ فهي إعادة «مجازيّة» للأطفال، ومثلما سُرقوا بالموسيقى؛ سيعودون بالفنّ، ومنها ينطلق الأطفال للانخراط بتجربة عمليّة يترجمون فيها أحاسيسهم، وتبني فكرهم وخيالهم ومسؤوليّتهم اتجاه من حولهم، لتتحوّل إلى قوةٍ وممارسةٍ واقعيّة لاحقاً.

لماذا القصّة؟ ولماذا الدراما؟

على الرّغم من أنّ القصص ليست المدخل الوحيد للدراما؛ إذ بإمكاننا بناء الدراما على غرض أو مقطع مُصوّر مثلاً؛ فإنّ القصّة مادّة غنيّة، فهي تبدأ من المنتصف وتنتهي عنده، فمثلاً هناك فترة زمنيّة طويلة قبل أن يغزوَ الجرذان مدينة «هاملن»، حيث بدأنا الحكاية، وهناك زمنٌ بعد اختفاء الأطفال، والفترتان لم ترِ القصّة مجريات أحداثهما، فإنّ هذه الفجوات هي مساحة خصبة للدراما ولنتخيّل ما الذي حدث خلالها بأنفسنا؛ إضافة إلى ما تتيحه الجغرافيا من إمكانيّات، أيّ أنّ القصّة لا تستطيع وصفَ الأحداث في مكانيْن في آنٍ واحد، ولا تستطيع مثلاً إخبارنا بما كان يحدث في المدينة لحظة وصول الأطفال إلى الجبل، فهي منشغلة في وصف مكان الاختفاء، بينما تتيح لنا الدراما أن نعتبر الزمان والمكان «لعبتنا».

ومع كلّ ذلك؛ قال الكردي إنّنا يجب أن نكون حذرين عند استخدام القصص في الدراما من «اللّهاث وراء الأحداث»، فليس الهدف هو الوصول إلى نهاية، ولا بناء مشهدٍ مسرحيّ

تُغلق الستارة بعده، إنّما نهدف لأن يمنحنا المشهد إمكانيّة السؤال والبحث والإبحار في الخيال لإنتاج المعنى الخاصّ بنا؛ مضيفاً أنّ المعلّم يجب أن يتخلّص من فكرة «المعلّم الذي يعرف كلّ الأجوبة، وألّا يفرض حكمته الخاصّة على الطلبة، ويصف محاولاتهم بخيارين لا ثالث لهما: «إمّا صحيح وإما خاطئ»، كما أكّد مراراً على أهميّة الصمت، فهو فرصةٌ للتأمّل قبل التفوّه بأول فكرةٍ نمطيّة ترد في الأذهان؛ فجوهر الدراما هو خلق أطفالٍ تتقن السؤال، وليس الإجابة.

وقدّمت الباحثة في برنامج البحث والتطوير التربويّ فيفيان طنّوس في النهاية مُلخّصاً نظريّاً لكلّ ما وردَ في الورشة، تبعاً للتمهيد الذي قدّمته في بداية اليوم الأوّل؛ فهي -مع زملائها في برنامج التكوّن المهنيّ للطفولة المبكّرة- تتابعُ تطوّر المربيّات في مجال الدراما عن كثب عبر ورش العمل والتواصل الدائم معهنّ، حيث من المقرّر أن تعمل المربيّات على مخطّط للدراما خلال فترة الصيف، ليطبّقنه في رياض الأطفال التي يعملن فيها عند بداية العام الدراسيّ الجديد في أيلول المقبل.

مهرجان نوّار نيسان: البحر يأتي إلى رام الله

كم مرّة سيُتاح للأهل أن يطلبوا من أطفالهم إفراغ أحذيتهم ونفض ملابسهم من الرّمل قبل الدخول إلى المنزل؟

على الرغم من بُعد البحر عن رام الله مسافةً وحواجز، حمل مهرجان نوّار نيسان هذا العام عنوان «إحنا والبحر»، وأبحرَ الأطفالُ على متن قوارب عديدة؛ صمّمت مؤسّسة عبد المحسن القطّان العديدَ منها.

أوّلها معروضة بحر 5D، التي حوّلت غرفةً في المحكمة العثمانيّة إلى قطعة من بحر غزّة، عبر شاشةٍ كبيرة مصمّمة بحجم مدى العين؛ تعرض مقطعاً مصوّراً سجّلته مؤسّسة القطّان حين زار أعضاء من فريقها القطاع في الأسبوعين الماضيين، وأمامه شاطئ رمليّ تناثر عليه الصَدَف الذي جُمع في غزّة أيضاً.

وبينما كان الأطفالُ على الشاطئ؛ كان غيرهم في الساحة يجرّبون تشغيل قوارب صغيرة صُنعت من الفلّين لتطفو، وقد ركّبت لها مراوح ومحرّك من لعبةِ سيارةٍ يتمّ التحكّم بها عن بُعد.

وتضمّن نوّار نيسان تجاربَ تفاعليّة عن الظّلّ ومزج الألوان، كما عملَ زائرو المهرجان على أعمالٍ يدويّة؛ وذلك باستخدام الأوراق الملوّنة والمعكرونة والألوان، وصنعوا لوحاتٍ حول الأسماك والبحر.

وعلى بعدِ أمتار؛ صمّم عكرمة أسمر أربع تجاربَ تحاكي ظواهرَ طبيعيّة حول البحر، مثل الدوّامات مثلاً التي تعتمد على قوة الطرد المركزيّ، حيث يُحرّك الأطفالُ وعاءً زجاجيّاً فيه ماء بطريقةٍ دائريّة؛ فتتجه جزيئات الماء إلى الأطراف نتيجة الحركة الدورانيّة، وكلّما زادتْ السرعة يتّسع قطر الفراغ في المنتصف، وذلك تماماً ما يحصل في الدوّامات التي تبدأ ضيّقة وتتّسع شيئاً فشيئاً.

كما أعادت مؤسّسة القطّان البحرَ إلى حديقة ردانة، حيثُ نُفذّت ورشةُ «فنون وعلوم» بإشراف سمر قرّش الباحثة في مشروع وليد وهيلين القطان لتطوير البحث والعلوم، وجاءت تحت اسم «رجع البحر لعنّا».

ولم تقتصر فعاليّات مهرجان نوّار نيسان على المعروضات العلميّة؛ بل عرض المهرجان ابتداءً من 3/31 إلى 4/2 مجموعةً متنوّعة من الأنشطة في كلّ من رام الله وبيرزيت وعكّا وغزة، تشمل عروضاً حكواتيّة، وورشاً في تدريب الرقص الشعبيّ، وتصنيع آلات موسيقية، وتدريبات لفنون السيرك، وعروض أفلام ... وغيرها.

من الجدير بالذكر أنّ منظّمي مهرجان نوّار نيسان هم بلدية رام الله، ومركز الفنّ الشعبيّ، ومؤسّسة تامر للتعليم المجتمعيّ، وسريّة رام الله الأولى، بالشراكة مع مؤسّسة عبد المحسن القطّان، ووزارة التربية والتعليم العالي، ومركز ثقافة الطفل في مؤسّسة الأسوار في عكّا، والمركز الثقافيّ الألمانيّ الفرنسيّ، ومشتل جذور، ومدرسة سيرك فلسطين، وجمعية الكمنجاتي، ومركز جبل النجمة، وعشتار لإنتاج وتدريب المسرح، ومؤسّسة النيزك للتعليم المساند والإبداع العلميّ، ومركز المعمار الشعبي- رواق.